

واللقب امرأة

تأليف: نهيل مهنا
(فلسطين)

الملتقى الإبداعي للفرق المسرحية المستقلة

أوروبا - البحر المتوسط

2010

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية
Arts Center
مركز الفنون

Fact
FACULTY OF ARTS
THE UNIVERSITY OF ALEXANDRIA

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف. ولا يجوز تناول هذا النص المسرحي،
أو تحويله إلى كافة أشكال الأعمال المرئية، أو المسموعة، دون الحصول على
موافقة كتابية من المؤلف.

**e-mail: nahil_82@hotmail.com
naheel.mohana@gmail.com**

شخصيات المسرحية

المرأة: في الثلاثينيات من عمرها.

الرضيع: ابن المرأة.

محرك الدمى (ديكتاتوري): رجل 1 في الأربعين من عمره.

القناص: رجل 2

المخنث: رجل 3 مثقف ويهوى كتابة الشعر.

الرجل البدين (كسول): رجل 4

الممرض

المساعد

المسؤول

المحقق

الصوت

المكان

أي مساحة مغلقة على أسرارها وفضائها.

الزمان

أي زمان مفتوح.



الفصل الأول

المشهد الأول

ظلام يملأ أرجاء المسرح، إضاءة خافتة على الركن الأيمن منه، يرتفع ضوءٌ خفيف على قفص اتهام مزوي، قضبانه قوية ومتلاصقة، ترتفع بقعة الضوء على الرؤوس...

تبرز على وجه كل متهم تدريجياً، تتجه أبصارهم ناحية منصة مرتفعة يقبع عليها دمية لقاضٍ، إضاءة شديدة على وجهه الجامد.

تسقط إضاءة تدريجية على الركن الأيسر من المسرح، تقبع امرأة ممزقة الثياب، مشعثة الشعر، جميلة الوجه، على يديها طفل هزيل، تهزه بيد، ويدها الثانية تمسح دموعها.

يسود ظلام مفاجئ على المسرح، يليه إضاءة مفاجئة تملأ الأركان

المرأة: اسكّت يا طفلي، فلدي اليوم مهمة، أنا في حضرة القاضي الذي سيسمعني أخيراً، ويسترد لي حقي وحقك.

القناص: (بصوت منخفض) عن أي حق تتكلم هذه الساذجة، هل تظن أن القاضي سيُخرج من قبعته أرنباً ويهديه لها. الأرض تربعت والسماء لن تدينها ولو قطرة واحدة، الأفضل لها أن ترضى بواقعها، رفقةً بابنها المخبول.

محرك الدمى: هاهاهاها إنها لا تكف عن استدرار عطفهم به، أينما ذهبت تتحدث بلسانه، امرأة غبية تسلك مسالك رخيصة، والآن تأتي إلى هنا تستجدي من هذا الكهل عدلاً يخفف وطأة جهلها، عله يرأف بحال ابنها ويلقي لها بعظمة مكسوة.

المخنث: (هامساً) لا تتكلموا عنها هكذا يا أصدقاء، إنها المرأة الوحيدة بيننا في رحم هذا المنفى، فلا تكونوا أنتم والزمن عليها، لا أنكر أنها تراني جُحراً بحجم نملة، لكنني أعشق طفلها هذا، حرام!

محرك الدمى: (بعصبية) اسكت أنت يا حشرة، كيف تريدها أن تراك وأنت مجرد ذبابة ضارة، مستحيل أن تنظر لك عجوز قبيحة.

القناص: عندما نتكلم عن امرأة بهذا الجمال، لا بد أن يتكلم الرجال ... الرجال فقط أيها الخنفس (يضحك بصوت عالٍ هو ومحرك الدمى)

البدین: (مستيقظاً) ما الذي يضحك يا أخوة في قفص أخرق كهذا، أضحكوني معكم، من مدة لم يتحرك فمي بنكتة.

محرك الدمى: صباح الخير أيها النشيط، لا بد وأن تعمل ناطوراً في الفترة المسائية، لأنك دائماً متيقظ (الجميع يضحك)

البدین: إنها فكرة سديدة يا أستاذي، ولكنني أريد معرفة سبب ضحكك الأول.

محرك الدمى: قل لي أيها الزير هل رأيتَ خنفساً يعشق ملكة نحل (مقهقهاً)

البدین: ماذا؟ هل هذه فزورة أم نكتة؟!!

(يضحك الجميع)

الصوت: محكمة.

(يصمت الجميع وترتفع الإضاءة على المرأة وهي واقفة على يسار المسرح)

المرأة: سيدي القاضي، لقد جئتك اليوم لتسمع شكواي، وتعاقب هؤلاء الأوباش وترجع لي حقي منهم.

(يتحرك رأس القاضي بواسطة خيوط معلقة، يستدير جهة المرأة وكأنه يستمع إليها)

القناص: (يقهقه) عن أي حق تتحدثين يا فاتنتي. انتهى الأمر، أنتِ لي منذ تلك اللحظة التي حصلتُ عليكِ فيها من جراء توقيع بسيط على ورقة.

المرأة: لا تصدقه يا حضرة القاضي، لقد أرادني عنوة وكشف عن صدري، لكنني رفضتُ وناقضتُ على وجهه بأظفري وبصاقي دفاعاً عن نفسي وعن

طفلي المسكين، حين وضعته كان ضعيفاً.. قالوا لي
الحب وحده لا ينجب طفلاً قوياً، سألوني عن أبيه،
لم يصدقوني حين قلتُ لهم إنه تائه في مكان ما،
يبحث عني وعن ابنه، أراه يقترب في كل ليلة، في
كل نسمة، وأستيقظ على حلم جديد يجمعني به
وبابننا، لنعود أسرة كاملة وسعيدة كما كنا. آآآآآه
أشعر بثقل حبه على صدري.

القناص: أنا أسخررره مم أقصد أتبناه يا سيدي القاضي،
فلدي ما يشبع خمسمائة طفل.

محرك الدمى: (منتفضاً.. ضارباً بيده على قفا القناص) اصمت أيها
الحقير، ما لديك من مال فهو من فضلات خدمي،
لا تتكلم مع القاضي إلا حين آذن لك. هل نسيت
نفسك؟ سأطعمك لفأري الصغير إن كررت
ذلك.

القناص: (منكس الرأس) أمرك يا أستاذي، لكنها قضية
تافهة، ولا أريد أن أشغل حضرتكم بها، رأيتك منذ
الصباح، وأنت مشغول بتحضير لعبة مع عرائسك،
لم أشأ أن أزعجك. عفوك يا تاج رأسي.

محرك الدمى: أيها الماكر الحقير، تتلاعب برأسي كما يتلاعب الريح
بأغصان البرتقال في مزارعي، قلتُ لك لا تتكلم إلا
بأمري، فعلاً لقد كنتُ متشاغلاً بعملٍ جديدٍ أجر به

- لهذا المتخلف البدين الذي لا يكف عن التثاؤب.
- البدين: (يتشاءب) من ناداني منكم يا سادة لقد سمعتُ اسمي
يرن في أرجاء القفص (يصحو من غفوته مفرحاً عينيه)
- القناص: (بصوت منخفض) إنه هو، اخفض صوتك، أنت
تتكلم في حضرة القاضي.
- البدين: احمم نعم أيها السيد العظيم سمعتك تغرد
بصوتي.
- محرك الدمى: أيها البدين عديم الفائدة، ما قولك في تلك المرأة التي
تقف موقف الضحية اليوم أمام حضرة القاضي.
- البدين: مرني وبأمرك سأتكلم، لا أريد مشاكل تثقل نعاسي،
وتفسد عليّ مزاجي، لقد سهرتُ بالأمس بين نساء
يفوقونها فتنة وغنجاً، دمت لي يا سيدي.
- محرك الدمى: (بصوت منخفض) قل إنك ممكن أن تأخذها خادمة،
إذا شحت الخادמות الجميلات لديك، فبريق
الذهب يجعلها تلهث كالكلبة الجرباء لخدمتك.
- البدين: (يتشاءب) نعم يا سيدي القاضي (يتحرك رأس الدمية
جهة البدين) سأعمل بشهامتي التي لا أرى هنا من
يستحقها، وسأخذها تعمل لدي خادمة ... ثم
ماذا؟؟؟؟ (يسأل محرك الدمى بصوت منخفض، وعيناها
مغلقتان من النعاس)

محرك الدمى: ستظل متخلفاً وسأهشم رأسك بين هذه القضبان،
لقد أمرتك أن تشرب برميل خمر واحد، وأراك
اليوم مملوءاً بها كخزانات البترول في حقلك.

البيدين: آسف سيدي لن أفعلها مرة أخرى.

محرك الدمى: اصمت .. انتهى الأمر ، يبدو أن القاضي اقتنع
بكلماتك المتناقلة.

البيدين: (يتساءب) فعلاً إنه لم يستعمل مطرقة هذه المرة.

محرك الدمى: لتذهب للنوم أيها الجثة، لديك غداً عمل شاق،
جلستُ نصف ساعة لأدير لك خطة، يجب أن
تنفذها بحذافيرها وإلا سأفصل رأسك هذا عن
جسدك الثقيل أفهمت؟؟

المرأة: (بانفعال) سيدي القاضي .. كنتُ في السوق
الكبير أحاول أن أشتري لهذا المسكين دواء حينما
اصطادتني هذه البراغيث، داهمني هذا القناص بعينه
العوراء التي تغطيها عصابة فشلت في تغطية سواد
قلبه، أرادني عنوة، ومزق عني ثيابي في وضح النهار،
أمام أناس خشوا الاقتراب منه حين داهمهم بأسلحته
ورجاله، حينها جاء محرك الدمى، كان في فمه غليون
أفرنجي، قلت لا بد وأن يدافع عن امرأة تحامت به،
رجوته أن يخلصني من برائن هذا الحقير، ابتسم

في وجهي ابتسامة صفراء، وشد خيطاً رفيعاً يصله بهذا الفناص. كان أمراً بالانقضاض عليّ، افترسني أيها القاضي الجليل وأنا أحتمي بطفلي، وهو يبكي ويختبئ وراء ما تبقى من لحمي المعرى. جاءني من الخلف هذا المخنث وانكب على مؤخرتي ينهشها كما ينهش الكلب المسعور قطعة لحم، وهذا البدين ينظر من بعيد مكتوف الأيدي، وبينه وبين محرك الدمى إيماءات استعصت على فهمي الضئيل، كتضائل الأمل الذي ساقني إلى هنا وأنا أنزف دماً وهماً أمام حضرتك، لو كان رجلي معي لزاح عن أفواههم دمي وغطى لحمي الملتهب فوق ثيابي، لاحتواني في صدره وربت على ضعفي، أراذوني عنوة في غياب رجلي، حتى جيراني وقفوا ينظرون بصمت (تشرع في بكاء ونحيب بصوت مسموع، وتنتحب فوق رضيعها الصامت) سيدي القاضي لا أريد سوى حياة كريمة لطفلي بعيداً عن هذه الذئاب التي تنهشني، أريده أن يحيا مثله مثل أطفال العالم في حضني، وفي ظل علبة حليب إذا جف صدري عنه.

المخنث: (متلويًا) أنا أجلب له الحليب والتبغ إذا أردت، ولكن ابق معي تحت سقفي المتواضع.

المرأة: (بصراخ) مستحيل!!!! لم يبقَ سواك أيها المخنث

الصعلوك لأرتمي في أحضانها، وأجرع طفلي سمومك يا قليل الحياء.

(بصرخ الطفل فجأة، يلتفتون جميعاً على صوته الصغير، تهزه أمه والدموع تجري على خديها، هالة من الضوء على وجه القناص موجهاً حديثه إلى القاضي)

القناص: سيدي القاضي لقد رأيتها مسكناً ومأوى في غياب مكان يأويني، لم تكن لي زوجة ولا حبيبة، وجدتها بلا راع، تحتاج لظل يرعاها ويغنجها، الأمر لا يحتاج إلى عنوة مع امرأة تعيش داخل سياج.

الجميع في صوت واحد: وهل أنت المسكن؟! هل أنت الظل!؟

القناص: نعم مكانها معي وتحت ظلي، فيها يكمن بقائي ونقطة قوتي.

محرك الدمى: لا تصدقه يا سيدي، إنه يعجز عن اتخاذ أي قرار بدون حركة مني، أنا من يأمره حتى في أية ساعة ينام، ويأكل ويقضي ساعات مع أقرانه، والدمى لدي كثيرة، وهو مجرد دميمة دميمة لا تطيع أوامري دائماً، ولكن سأحاسبه وأمنع عنه تمويل.

المخنث: نعم نعم أيها القاضي، لقد صدق القول، لكنني أشعر بنخيط من الدماء يربطني بهذه المرأة، دمها دمي، وروحها روحي، لكنني متواضع أمام هذه الهمم

الرفيعة، ويمكن أن أقتسمها معهم.

البدين: (مقهقهةً) هاهاهاهاها ليس لدي تعليق ولا حتى أقوال، أريد أن ألحق بحلمي الليلة قبل أن يبدأ. ليلة سعيدة يا سيد القضاة العادلين (خاخاخاخا يعلو صوت شخيره)

(تكفكف المرأة دمعها، يستمر صوت بكاء الرضيع جائعاً، تلقمه نهدها وتهزه باليد الأخرى)

القناص: يا له من بياض ينافس العاج، تضاريسها ساحرة تبعث منها رائحة عذبة كرائحة الزعتر البري، إنها لي ولن يقاسمني بها أحد.

محرك الدمى: خسئت يا ذا العين المعصوبة أن تكون لك، هي لي أنا، شئتم أم أبيتم.

المخنث: ولم لا تكون من حظي أنا؟

محرك الدمى: (مقهقهةً) لك أيها المخنث المعوج، اذهب وضاجع بجعة، لقد قلت ولن أكررها إنها لي أنا ومن ثم لكم.

القناص: كلا إنها لي أنا أولاً.

المخنث: لي أنا يا سادة.

(أصوات تتصارع وتعلو ... المرأة ترضع طفلها وتبكي

في صمت، القفص يضح بالصوت، ثم يتم الخناق بينهم والتلاكم، تصدر أصوات غريبة، تخبو الإضاءة شيئاً فشيئاً حتى يصبح المسرح معتماً، يضاء المسرح دفعة واحدة بإضاءة شديدة، يتوقف المتهمون عن الشجار، ينظرون بعيون واسعة مبحلة، تداري المرأة نهدها تحت الثياب المتبقية وتنظر مشدوهة)

المرضى: (بزيه المعتاد وقبعة من النايلون الأزرق) الله الله ماذا تفعلون هنا حتى هذه الساعة المتأخرة؟؟ وما هذا الشيء القابع في المنتصف؟! مميم دمية . إنها دمية بزي قاضٍ هاهاهاها، ومن يا ترى صنعها منكم؟ أعتقد أنت يا من تظن نفسك صانع دمي، كنت أشك بكم من مدة طويلة، متكرين بزي مجانين، لقد سجلتُ لعبتكم الرهيبة وسأسمعها للمحقق، بعد أن أنقلكم لسجنه يا إرهابيين، لم تعد المصحة مكاناً مناسباً لكم.

الجميع: سنتقلوننا إلى سجن آخر؟

المرضى: (بسخرية) إنه سجن، لكن من نوع آخر هاهاهاها.
(ظلام يملأ المسرح، ونظرات خوف من عيون المتهمين في اتجاه المرضى)

ستار

الفصل الثاني

المشهد الأول

(بقعة ضوء على يمين المسرح، مكتب يجلس عليه شخص، يرتدي بدلة، وفي فمه غليون ينفث دخانه برود، يقف أمامه مساعده)

المساعد: ولكن يا سيدي السجون مكتظة.

المسئول: (يفكر مطرقاً) إذاً ضع المتهمين في سجن واحد، والمرأة وحدها في سجن.

المساعد: سيدي لا توجد سوى حجرة واحدة فارغة، كل الحجرات مشغولة.

المسئول: حسناً ضعهم في الحجرة الوحيدة الفارغة، حتى نهبئ سجوناً انفرادية، ونستأنف التحقيق مع كل منهم على حدة.

المساعد: أمرك سيدي (يخرج ويترك المسئول يحوم حول مكتبه، يشعل غليونه، مركزاً نظره عليه)

(الإضاءة تلاشى حتى تختفي تماماً، إضاءة على حجرة من الطوب النبي على يسار المسرح، يقف المتهمون ومعهم المرأة ورضيعها على يدها)

رجل I (محرك الدمى): أرايت فكرتكَ أيها المجنون إلى أي جحيم

قادتنا، اللعنة، لا طعام هنا ولا شراب، سننام
مع الفئران والصراصير. أتعجبك هذه الإقامة
الفاخرة؟؟

رجل 2 (القناص): لم تكن فكرتي وحدي.... لقد شاركني بها هذا
العبقري (مشيراً إلى المخنث) يا ليتها زنانة، إنها مقبرة
تسكنها رائحة أرواح... حتى الموت يخشاها.

رجل 3 (المخنث): أنا لم أوافقك، بل الفكرة من شدتنا من أعناقنا
لنفض فيها ما يعترينا من ملل، الله يلعنك يا
شيطان.

رجل 4 (البدين): اصمتوا... أريد أن أنام، في هذا الجحيم، لا
يجدي سوى النوم.

رجل 1: نم أيها القائد العظيم، الله وحده يعلم إلى أي يوم سنبقى
هنا، يا إلهي ما الذي صنعناه بأنفسنا. أمن أجل لعبة
نرج في هذه الخرابة، ونلقب بالإرهابيين!!

رجل 2: شششش، احترس من أن يسمعك أحد، سيحققون
معنا ويتأكدون أننا مجرد مختلين، كنا في مصحة
للمعالجة، وهناك أوراق تثبت صحة كلامنا.

رجل 1: عن أي تحقيق تتكلم، سيأتي دورنا وعظامنا رماد
من هذا العفن أيها الأحمق.

المرأة: (تبكي) يا إلهي ما المصير الذي ينتظر هذا المسكين،
ستجف عروقه من عفونة الحجرة.

رجل 2: (بصوت منخفض) اخفضوا أصواتكم، أسمع صوت
خطوات قادمة في اتجاهنا.

(صوت خطوات في الخارج تقترب، يفتح الباب ويدخل
رجل مرتدياً بزرة عسكرية)

الحارس: ماذا تفعلون حتى هذه الساعة أيها الزبائن الجدد،
أخشى أن تكون الخدمة لدينا ليست على ذوقكم.

رجل 3: أبدأً أيها السيد الفاضل، لقد حظينا بأجمل إقامة
في ظللكم، لكن سيدي، أتعلم متى سيبدأ التحقيق
معنا؟؟

الحارس: هاهاهاها قريباً .. قريباً جداً إن شاء الله ، والآن لا
أريد أن أسمع أصواتاً سوى صوت الإبرة إذا ألقيتها
... هيا إلى النوم يا إرهابيين (يذهب ويواصل القهقهة
بصوت عالٍ)

(تخفي الإضاءة عن المتهمين وتسير مع الحارس حتى
يخرج)

المشهد الثاني

(المرأة نائمة ورضيعها على حجرها فاتحاً فاه، محدقاً في السقف، رجل 4 متقلباً على جوانبه، يزيح الذباب بيديه، محاولاً إيجاد وضع مناسب للنوم)

رجل 1: (واقفاً، مسنداً رأسه على الجدار، مطرقاً في التفكير) أتدرون ما هو الشيء الذي يبدأ صغيراً ثم يكبر يوماً عن يوم؟؟

رجل 2: نحلة بيت جيراننا، كانت تعصف فوق السطوح يومي الخميس والجمعة، تطن ساعات، وساعات تصمت عن نشيد تتوقعه طفلي كل صباح حين تشرب حليبها الساخن بدون عسل، تقول لي "نحلي كسيحة تنجب كل يوم قطرة عسل واحدة" فهي لا تعرف أن البخل أصاب النحل، كما يصيب دبابير يرشفون نصف الرواتب.

رجل 1: وعندما تصل حارتنا تتحول إلى صقر مشحوذ المخالب، يزرع منقاره في أعناق الأطفال، مدعياً أنه لعبة أرسلها العيد لمداعتهم.

رجل 2: قلنا إن هذا الشيء خطر على أطفالنا، يمتص براءتهم مع الدماء.. قالوا إنه مجرد دمية، إذاً فهي البطيخة تزرع بذرة وتنتهي بثمرة ضخمة!!!

رجل 3 (المخث): ولماذا لا تكون القضية التي تخلق صغيرة وتكبر في رؤوس المسؤولين!!؟

رجل 1: كلا يا رفاق، إنه الشيء الهلامي الذي ساقنا إلي هناك، في غرفتين وصالة صغيرة، وحمامة معششة على نافذتنا الوحيدة، كان طفلي.. حين تكثر النجوم في السماء، تكثر أمنياته، كان يحب الرسم، كل ليلة يرسم على الجدار أمنية جديدة، هو يرسم وجيوبي تعاني من ترهلات لا تقوى على حمل شيء دائري ولا مع، كانت أمنيته الأولى، الثانية.. قلم حبر ومسطرة، استقبل يومه فرحاً حين استيقظ ووجد أمنيته على رف السرير، عشنا في سلام، والقمر يطل علينا كل ليلة كباقي الناس في حجراتهم الضيقة، حتى كبر الطفل وكبرت معه ألوانه وجدار غرفته، رسم سيارة، ثم بزة مخططة، كان الضباب يخيم على عيني كلما تأخر الفرج عن مواعده، على جبيني تبرز سحب تحجب أقمار ولت، أجد رأسي في حضن زوجتي تهدهدي وأنا أهذي في كوابيس. كان فطناً، وسابقاً سنه، لم تكفه المدرسة والحقيبة الجلدية، استيقظت يوماً وجدت أمامي رجلين بلباس غريب وبينهم ابني، قالوا لي سناخذه يا شيخ، لم تعد قادراً على تلبية مطالبه. كانت على شفتيه ابتسامة

شاسعة، لم يمهلوني وقتاً لأودعه، أخذوه وخرجوا،
انتظرناه كثيراً، أمه لم تحتمل فراقه، اختفت تحت
كومة من التراب، وجدتُ نفسي أذهب إلى هناك
مدعياً الجنون قبل أن أفقد ما تبقى من وعيي وأنا في
البيت وحدي... عرفتم ما هو ذلك الشيء؟؟؟

رجل 2:

هو نفس الشيء الذي سافني إليها حين اتهمتي
زوجتي بالجنون .. عندما تنام الفراشات في الليل،
يستيقظ السعال في صدور بناتي، كنت أشغل في
محطة قطار، قالوا إن القطار هرم ومل الانتظار،
سنستبدل بالمحطة مصنعاً يحتاج لشباب وليس
كهولاً. جلستُ كما جلس العشرات مثلي، كنت
أذبل كل يوم وأنا أرى السعلة تخنق فلذاتي، وتسرق
أنفاسهن، بعث البيت وأثاث والدتي القديم، حتى غرفة
النوم لم تعد لها أهمية، وقد استباح المرض حياتنا، لم
تشفق زوجتي على حالتي، أعجبها ذلك الرجل ذو
الطربوش والكروش المتدلي والليرات الذهبية، كانت
جميلة، وشفتها من فستق وتفاح، قذفتني بتهمة
وجعلتني محبوباً أعتدي على بناتي، هل تصدقون هذا
الاقتراء يا سادة، أرايتم أباً يعتدي على لحمه!! وفي
حضن ليلة بيضاء وجدتُ نفسي هناك.

رجل 3:

(ناهضاً، معدلاً جلسته) لا بد وأن تكون من برج

العقرب، أعلم أنهن شرسات، فاتنات ولا يجدي
معهن إلا لدغ العقارب.

رجل 2: لا أذكر أني سألتها يوماً، ولا أعتقد أنها تعرف، رائحة
السعال ورطوبة الغرف ما كان يشغل تفكيرنا.

رجل 1: زوجتي برج العذراء، يقولون إنه كلاسيكي ومضح
من أجل راحة الشريك، لقد أهدتني كليتها عندما
تبطرت كليتي ملوحة ما آكله لسد الرمق أثناء
العمل، وعدتها أن أرجعها لها مع عقد من الذهب،
مسكينة، لقد توفت وروحها تمنى هذا اليوم (بيكي
بصمت)

رجل 3: أجل صدقتَ يا رفيق، لاشك أنك كنت محظوظاً
بها.

رجل 2: والحمل؟

رجل 3: بركان متهيج.

رجل 1: القوس؟

رجل 3: مقبرة الأحياء.

رجل 2: الجوزاء؟

رجل 3: خيول تصهل.

رجل 1: و... الحوت؟

- رجل 3: قهقهة ظل.
- رجل 1: (مقهقهةً) ألا زال شئى يقهقهه في هذا الزمن؟! إنها مجرد خرافات.
- رجل 3: ليكن رأيك كيفما تشاء، أما أنا فكانت من برج الدلو.....
- رجل 1 + رجل 2: (بصوت واحد) من؟ زوجتك؟؟
- رجل 3: تمنيتها كذلك.
- رجل 1 + رجل 2: (بصوت واحد) إذاً خطيبتك؟؟
- رجل 3: لا، أحببتها رغم ما يكتنفها من عناد و نرجسية، قضيتُ معها ثلاث سنوات نتجول في الحدائق بين بائعين الذرة والفل، كانت مدينتي تعج بالفوانيس الملونة وأسراب السنونو فوق موج البحر، أنجبنا أحلاماً بعرض السماء، ولم أنجب لأجلها قرشاً واحداً، حين وجدتها أخيراً فقدت عملي في مطحنة صديق أبي الذي وضع ابنه بدلاً لي بعد فشله في دراسة استمرت خمس سنوات، متناسياً لقيمات تقاسمها مع أبي أيام الصبا، ودفنها بجانب جثته، قالت الناس لي: ما يذهب يأتي غيره، وفرحتان في الرأس تؤلم، الأرزاق بيد الله.
- رجل 1 + رجل 2: (بصوت واحد) ونعم بالله.

رجل 3:

كانت لي أخت طاهرة كورقة ياسمين، تركتها لي
أمي بعد أن شربت حبة الموت وأشاحت بوجهها
عني، أوصتني أن لا أخذلها أمام عريسها، أتفقت
مع الحبيبة أن أغيب سنتين كرفة رمشين، بعد أربع
سنوات رجعتُ (متنهداً بحزن) وجدتُ مدينتي وقد
نسح الخراب خيوطه حولها، الأطفال لم يعودوا
أطفالاً، والصبايا لم تعد صبايا، حتى الشوارع
والنوافير والمباني فقدت نضارتها وأمست شاحبة..
واعظون يعثون في الديار فساداً، خفافيش تعشق
رائحة الدم، ولحى تسرق النبض من القلب، حرائق
وزفير، قنابل وضماير نخر فيها السوس، حتى
حبيبتي، وجدتها وقد زفت لغيري، وأنجبت منه
طفلاً. كادت الصدمة تزهق روحي. عدت محملاً
بمهر وخواتم وأحلام، وجدتها في ظل رجل غيري،
دفع لها أكثر من حب صاف، اشتد بي الحنق وهرب
الوعي مني، وجدتُ نفسي أرفع شيئاً ثقيلاً على
رأسها، نظرتُ لي بعيون طالما اشتهيتُ الموج الذي
يسبح بهما، تناقلت يداي وتهاوت كحمولة جبل
تكومت منذ سنوات، كدت أبكي بين يديها، قالت
لي (بيتسم وهو مطرقاً ينظر لسقف الغرفة) اشتقتك يا
صغيري المجنون، حياتي بدونك لا ينبت فيها غصنٌ
أخضر (فجأة تغيرت تعابير وجهه) صرختُ بوجهها

وحرارة الدماء تهدر من عيني ومسامي وكل نطفة أحبها. نعتها بالفاجرة والرخيصة، وجدتُ الناس حولي هالات، حينها طلبوا لي الإسعاف، همستُ بإذني أن العقاب سيكون أخف رفقة بحالتي. وهكذا وجدت نفسي بين أناس، بين وعيهم والجنون خيط دقيق، كدقة السور الذي يفصلهم عن البشر العاديين، لقد اخترتُ أن أتبع ملة المجانين، بهم تكمن حكمة العصر، ومنهم بزغ أبلغ الفقهاء والشعراء.

رجل 2: لكنها خائنة ولا تستحق منك دمعة.

رجل 1: وفاجرة أيضاً.

رجل 3: لا، أرجوكم لا تشتموها، لازلتُ أحبها، وأحب خيانتها لي، من يخون هو الأقوى .. لستُ نادماً على سنين عمري، عندما أرى الأمل والصفاء في عيون أبناء أختي، أنسى أيام الغربة والشقاء.

رجل 4: (مستيقظاً والدموع تملأ مآقيه) وتحدثون عن شيء وحيد يُخلق صغيراً ويظل ينمو حتى ينفجر، لقد عرفته يا أصدقاء.

الجميع في صوت واحد: إنه الهم.

(ينشدون بصوت واحد وهم يبكون، مع تشغيل موسيقى حزينة)

ميحنا يا ميحنا يا ميحنا
 يا ويل حالي هبطو لديارنا
 أوف يلي حرمتي أسكن بداري
 وتركتني لنذل أسمع واداري
 يا شيب راسي دشرونا احبابنا
 الله يخونك يا زمان الخنتنا
 يابا الدهر دولابه داربي
 وبصيح وفش عادل داري بي
 يابا الحرامي صار ساكن داربي
 الله يديمك يا أهالي بلادنا
 إخوة ليش عم نذب بعضنا
 وذنب صهيون لاحقنا وبعضنا*

(يفتح باب القفص فجأة مصدراً صريراً مزعجاً، ينظر
 الجميع مبجلين للقادم كأنهم نسوا هيئة البشر، يظهر
 الحارس عابساً، يصرخ فيهم)

الحارس: هيا يا أوباش، فلتأتوا معي واحداً تلو الآخر إلى غرفة
 المحقق.

ظلام

المشهد الثالث

(رجل 1، رجل 3، رجل 4 في الحجرة، ومعهم المرأة وابنها صامت
يحدق في فضاء الحجرة)

رجل 3: ها هو اليوم السابع على غيابه يا رفاق، تبدو
العملية مسلية أكثر من جلوسنا هنا، أتوق إلى يوم
استدعائي.

رجل 1: اعتقدت أن الموضوع أبسط من ذلك، ما الذي
سيستفيدونه في التحقيق مع مختل عقلي، لا حول
له ولا قوة، يقطن مصحة منذ سنوات.

رجل 4: لا شيء لو تركنا ذلك المراقب في حالنا، نمارس
الجنون بحرية، لقد نعتنا بالإرهابيين، وهل هذه
هيئة إرهابيين؟؟!! ارهابيين يخافون المطالبة بما
يسد الرمق، ما يقدم لنا لا يكفي عصفوراً صغيراً،
رمونا هنا، لا أهل يسألون علينا ولا حتى أصدقاء.

رجل 3: ما هي قصتك أيها الرفيق؟؟

رجل 4: لم يكن لي من مأوى غيرها، بيتي تهدم منذ سنوات
فوق رأس عائلتي، وقتها اعتذروا لي متعللين بأن
الصاروخ لم يكن قصده دغدغة أعمدة البيت،
وانحرف سهواً، وجدت نفسي في الشارع وحيداً
بين ليلة وضحاها، لا ولد يرعاني، ولا زوجة تطمس

وحشتي، لولا لقائي بكم هناك، نصطاد الضجر
بالحديث سوياً لكنت مت من الوحدة والغم.

رجل 1: تدرون ما يشغل فكري الآن يا أصدقاء؟؟

الجميع في صوت واحد: ماذا؟؟

رجل 1: أشعر وكأني ولدتُ من جديد، ولدي رغبة في أن
أكمل حياة طبيعية في الشوارع، وبين الناس، عندما
عرفتكم، أيقنتُ أنه لازال هناك أيام أفضل من التي
مضت، لونتتم لي غدي بعد أن كان طالعه في عيني
قاتماً.

رجل 3: وأنا أيضاً، عاودني الأمل بعد أن فارقني سنوات.

رجل 4: عندما أخرج من هنا، سأرمم مطبخي القديم،
وأصنع به أجمل المأكولات كما كنت أفعل،
سأزرع بستاني بالورد والليمون، سأعلي السور
وأسيجه من جديد.

رجل 1: وأنا سأعود لمراقبة الشمس، وأرعى ظلها فوق سطح
بيتي، سأعود زيارة أحبائي في الحوانيت والمقاهي،
وسأخبي لأطفال الحارة السكاكر والحلوى الملونة.

رجل 3: أما أنا فسأعود نظم الشعر في قصائد مذهبة،
وسأنجب نصاً للعاقرات والمحتاجين، وسأظل
أحبها حتى آخر خيط أبيض في شعري، سأتمنى

لها أن تحقق ما أخفقت في تحقيقه في ظل عائلة وأطفال.

رجل 1: لقد نسيت شيئاً مهماً؟

رجل 3: لا، لم أنسَ يا صديقي الطيب، أشعر بخفقات جنين في رحم أمه، صوت أنفاسه تصلني إلى هنا، لا بد وأن تكون أختي .. ستجلب لأبنائها أختاً جميلة أخيراً (ترقرق عيناه بالدمع من شدة الفرحه متطلعاً للأمام) حين أخرج سأجلب لهم الهدايا والألعاب، ولن يفرقني عنهم سوى الموت.

رجل 4: (ملتفتاً للمرأة) وأنتي أيتها العزيزة، ألا ترغبين في الحياة خارج هذا القمقم؟؟

المرأة: (تبتسم وتنظر لرضيعها النائم في حنان) سأظل أحب ابني وأعتني به.

(يبتسم الجميع موجهين نظراتهم إلى الطفل النائم)

(يفتح الباب فجأة، يسقط جسد ثقيل على الأرض ممزق الثياب، ملطخاً بالدماء والقروح، يقع مغشياً عليه فاقد الوعي، تنطلق النظرات صوبه بدهشة وفزع، يرجعون إلى الورا، تلتصق أجسادهم بجدار الغرفة بحركة آلية)

الحارس: (صارخاً) ستظلون هكذا مجمدين كالأموات. هيا من التالي؟؟

(الضوء يقترب من الرجل المغمى عليه، مع تشغيل
موسيقى ذات طابع مخيف، يأخذ الضوء في التلاشي حتى
ينطفئ....)

ظلام

الفصل الثالث

المشهد الأول

(المرأة نائمة وفي حضنها ابنها، رجل 4 متقلباً في محاولة فاشلة للنوم، رجل 2 ورجل 3 يتحاوران)

رجل 3: (محدثاً رجل 2) لقد كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه، ها هي الليلة الرابعة تمر بدون أن ينطق حرفاً واحداً.

رجل 2: (بعد صمت ثقيل) اتركه ينم، عله ينسى ..

رجل 3: ينام!!!! حتى النوم جافاه، إنه لا يكف عن التقلب والهذيان بتمتمات غير مفهومة، ثم ينتفض مبللاً بالكوابيس والعرق.

رجل 2: (جالساً القرفصاء ورأسه بين قدميه، مطرقاً في سكون فظيع)

رجل 3: ألهذه الدرجة كان قاسياً؟؟

رجل 2: (ينظر إليه بتناقل، ثم يقهقه بضحكة تهز الجدران..... يتلوها نحيب بصوت عالٍ)

رجل 3: اهدأ يا صديقي، وهون عليك، سيملون حتماً، حين لا يجدون ما يبحثون عنه.

- رجل 2: (يرفع رأسه، والدموع مبللة قميصه الممزق)
- رجل 3: الجو الليلة حار جداً، أشعر بسخونة الأرض تلسع مؤخرتي كألسنة النار.
- رجل 2: (منتفضاً) كان ساخناً وملتهباً، يمزق الخلايا والأعصاب، يفجر الدم من الشرايين.
- رجل 3: ما هو؟؟
- رجل 2: الشيء الذي وضعوه على ظهري مراراً حتى أغمى عليّ، وأمسيّت بعدها ميتاً بأجفان مفتوحة.
- رجل 3: (مصدوماً، مبحلقاً عينيه في وجهه) ماذا؟؟
- رجل 2: كانت عيناه تقدح شرارة مشتعلة كعيون الشيطان، وأيديهم، آآآآآ من أيديهم (يتأوه بصوت عالٍ)
- رجل 3: ما بها؟
- رجل 2: قوية جداً، محملة بكرهية تقطع نياط الشمس، محملة بسلاسل وجنازير حديدية، لكنني أمقت القتل والقتلة، وأحترق عند رؤية طفلة صغيرة تتألم.
- رجل 3: من؟ المحقق؟!
- رجل 2: عزرائيل في ثياب محقق، ومعه رجاله... (ماداً بصره ناحية الأفق بتجهم) حين وضعوه بين ساقِيّ، شعرتُ كأن غولاً اعتصر قلبي بين يديه، ومضغه بين أسنانه،

آه متعبٌ أنا يا صديقي، ونبضي ليس بخير ...
(ينكفي بين يدي رجل 3 مبللاً بالدموع، ينهج بالبكاء
كطفل صغير)

(ينتفض رجل 4 من نومه، ينهض فازعاً، يهذي بكلمات
غير مفهومة)

رجل 3 : (جالباً له ماء في كوب قدر، يسنده على يده) اشرب يا
صديقي، لقد عاودتك الحمى لاشك، لا تخف،
أنت ليس وحدك، نحن هنا حولك.

رجل 4 : (مرتجفاً) أين أنا؟؟

رجل 3 : (موجهاً حديثه لرجل 2) إنه على هذه الحالة منذ ذلك
اليوم، حرارته في ارتفاع مستمر من جراء القروح
في جسده، والماء هنا يغلي من السخونة.

رجل 4 : (صارخاً) لقد رأيتها في الحلم ..

رجل 3 : (يربت برفق على صدره) لا تخف، إنه مجرد حلم، عد
إلى نومك يا أخي.

رجل 4 : ... لقد رأيتُ النهاية. حربٌ مطموسة الملامح،
ومدينة تنقياً أنفاسها.

رجل 3 : (محاولاً تهدئته) ألم ترَ طفلة تحمل بين عينيها دمية
ومعها تلميذ سعيد بشطيرة لحم؟؟

رجل 4: (منفعلاً، مبحلقاً في خط مستقيم) طفل مشلول وصبية كسيحة، أرى عين الشمس مفقوءة، والقمر يسير على قدم واحدة.. يا إلهي، النصر منكس رأسه، نهر يطفح دماً، وسماء بدون نجوم. مدينة لا يسكنها بشر، تحتلها أشباح وأكفان بيضاء، وقطيع من قبور فاغرة فاها لمزيد من القتلى، خرائب وأشلاء مبتورة (ينهج بالبكاء مرتجفاً)

رجل 3: اهدأ يا صديقي، إنها غمة وستذهب بلا عودة. نم بسلام، وسأبقى أهددك وأطرد عنك أحلامك المزعجة (يستمر في البكاء على كتف صديقه)

(رجل 2 يبكي بصمت، واضعاً رأسه بين قدميه)

(يختفي الضوء عن الغرفة وهم في نفس الوضع، موسيقى حزينة شاحبة مصاحبة لبكائهم)

المشهد الثاني

(على يمين المسرح يجلس المحقق، ضوء لمبة يتحرك على المرأة، وفي حضنها رضيعها، المحقق متجههم، بشع النظر، ينظر إليها بعطف)

المحقق: إذاً هذا كان مبررك للجوء إلى المصححة، ألم تجدي مكاناً أفضل تلجئين إليه؟؟

المرأة: سيدي الفاضل .. الحياة صعبة، وأنا امرأة وحيدة لا مال لي ولا سند، الذئاب أنيابهم مسنونة، ليس لدي سوى طفل أريد أن أراه يكبر أمام عيني.

المحقق: أكاد أرى خيطاً من الصدق في عينيك، والآن أريدك أن تحدثيني عن تلك اللعبة.

(الإضاءة تختفي عن المرأة والمحقق، وهي مادة نظرها إلى الأفق، مسترسلة في تذكّر المشهد. تنتقل الإضاءة إلى الحجرة على يسار المسرح، يجلس الرجال الأربعة في صف واحد، بين كل منهم مسافة... شعرهم طويل ولحاهم متدلّية وكثّة، ثيابهم ممزقة وقدرّة، يملأ وجوههم السواد)

رجل 1: (بسخرية) لقد أسند لي تهمة تركيب قبلة هير وشيما حين فرغت جعبته من التهم.

رجل 2: وأنا اتهمني بنية تفجير سور الصين.

رجل 4: (يقهقه بصوت عالٍ) أما أنا فتهمتي جديدة وغير مألوفة .. سرقة النوم من عيون أطفالهم، وتعزيز شعورهم بالاكئاب حين يشاهدون نشرات الأخبار.

رجل 2: ما بداخلي يكفي لتفجير هيروشيما وروما، و حرق سور الصين و حدائق بابل، وكل العجائب السبع.

رجل 3: ظننتُ أني مريض بشكبي بكم!!!

رجل 2: اخرس أيها الخائن لقد رأيتك وأنت تتمتم بسرك محدثاً نفسك حول هذه الجريمة التي تنوي فعلها.

رجل 3: أنا أيها الدموي! عليك اللعنة، عينك تقطر سخاماً أسود، تريد أن ترش سمومك علينا (رجل 2 ورجل 3 يتعاركان، ينقض أحدهما على الآخر في اشتباك عنيف)

رجل 1: (موجهاً حديثه لرجل 4) أنت من خطف طفلي وقتل زوجتي، سأقطع وريدك بأسناني أيها الإرهابي.

رجل 4: بل أنت من فجرت لي بيتي وهدمته على رأس عائلتي (يستمران في العراك، يدمي أحدهما الآخر في شراسة)

رجل 3: (محدثاً رجل 1) سأحرمك الهواء الذي تتنفسه أيها الساقط، لقد أمسكوني وأنا أثقب الأوزون، ومن الآن سأبيع الأكسجين لمن يدفع فقط، وسألوث كل ما تقع عليه يداي، حتى قصبتك الهوائية.

- رجل 3: أنت الساقط يا ابن الملعونة (يتعاركان على الأرض،
ويتراشقان بما تصل إليه يدهما من أوانٍ وصحون فارغة)
(مشهد العراك يستمر حتى تختفي الإضاءة عن الحجرة
.... تعود بقعة الضوء على المرأة والمحقق)
- المرأة: لم تكن سوى سويجات تافهة يا سيدي، لم نقصد من
ورائها سوى العبث وقتل الملل.
- المحقق: أريد معرفة المزيد عنهم، حتى أستطيع أن أخرجك
من هنا.
- المرأة: (تتحدث إلى المحقق بصوتٍ غير مسموع، يهز رأسه
بانصات، ويسجل ملاحظات على ورقة أمامه)
(ينتقل الضوء إلى الحجرة. يجلس الرجال بعد عراك
عنيف، تبدو آثاره على وجوههم، وثيابهم)
رجل 2: فليخبرني أحدكم .. ميتٌ أنا أم حي؟؟
- رجل 3: لقد نسيت لون الشجر ..
- رجل 4: ورائحة البحر ...
- رجل 2: وشكل التراب ...
- رجل 3: ومذاق الماء ...
- رجل 4: والهواء ...

- رجل 2: وطعم النساء ...
- رجل 1: (ناظراً أمامه بتركيز) أتذكرون ذلك اليوم الذي أودى بنا إلى هنا؟؟
- رجل 2: أجل أتذكره يا محرك الدمى (يضحك)
- رجل 3: لم يعد هناك فرق كبير، وأصبحتُ الآن رجلاً ليس ذا قيمة.
- رجل 2: مللتُ قنص الجثث بعين واحدة، أتوق إلى تجريب شيءٍ مختلف (ناظراً لهم بمكر)
- رجل 4: وأنا أيضاً، لم يعد النوم عندي سوى هواية، بعد أن جمعتُ النعاس من عيون الأطفال.
- رجل 2: لا أحد يرانا ...
- رجل 1: شششش أنا القائد هنا وبيروقني إلقاء الأوامر عليكم، الآن ستتولى أنت مهمة إقناعها يا ذا العين المثقوبة، أما أنا فسأتولى تدبير جدول لكم
- (يقومون بعمل حلقة مستديرة، يهمسون بينهم بكلام غير مسموع)

المشهد الثالث

(ظلام طاغٍ على يمين المسرح، بقعة ضوء على مكتب المسؤول، وأمامه المساعد)

المساعد: سيدي أود لو تسمح لي بمدخلة؟؟

المسؤول: تكلم، أسمعك.

المساعد: لقد مرت سنين، والإرهابيون لازالوا في نفس القفص.

المسؤول: (ببرود) هل لازالوا في السجن الجماعي ومعهم المرأة؟

المساعد: (منكس الرأس) مع الأسف يا سيدي.

المسؤول: اذهب واجلبهم فرداً فرداً، ولنبدأ بالمرأة.

المساعد: حاضر يا سيدي.

(إضاءة على الحجرة، يقف المساعد أمام الباب المفتوح بالتفاتة معينة، بحيث لا يرى من في الحجرة، مشدوهاً فاتحاً فاه، مصفر الوجه، مغلقاً أنفه بإصبعيه)

في غرفة المسؤول

المسؤول: حسناً، ماذا فعلت؟؟ أراك راجعاً وحدك، ألم أقل لك أن تجلب المرأة معك.

- المساعد: سيدي أخشى أن ن ن ن أقول لك أن ن
- المسؤول: ما الأمر تكلم.
- المساعد: أعتقد أننا تأخرنا قليلاً على هؤلاء الإرهابيين.
- المسؤول: (بقلق) ماذا تقصد أيها المساعد.
- المساعد: هناك في الحجرة أشياء غريبة يا سيدي.
- المسؤول: أشياء غريبة؟!!
- المساعد: نعم يا سيدي .. أجنة مترامية، مشوهة الملامح، والمرأة في إعياء شديد، لا تقوى على نطق حرف واحد، وابنها يحتضر من الجوع والوجع.
- المسؤول: (فزعاً، وقد قام عن كرسيه بحركة مضطربة) ماذا تقول؟!!
- المساعد: (هازاً رأسه بتأثر) كما سمعت يا سيدي.
- المسؤول: والرجال أين الرجال؟؟؟؟؟؟؟؟
- المساعد: (منكس الرأس) تلك الكارثة يا سيدي، لقد هربوا
- المسؤول: ماذا؟؟؟

ستار الختام

* مواويل مأثورة من التراث الفلسطيني